

## ولالة تنوع جموع التكسير في القرآن الكريم

المدرس المساعد  
عبد الكريم خالد التميمي  
جامعة البصرة - كلية القانون

### المقدمة :-

يذكر الصرفيون وأصحاب اللغة أنّ لجمع التكسير أوزاناً كثيرة جاوزت الثلاثين ، وقد يكون للمفرد الواحد عدّة جموع وبصيغ مختلفة ، نحو : بارّ وأبرار وبررة ، وشاهد وأشهاد وشهود وشهداء ، وأسير وأسرى وأسارى ، وكثير غيرها ، فهذه ظاهرة تسترعي الانتباه والوقوف والتأمل .

وقد استعمل القرآن الكريم هذا التنوع في الجموع في مواضع مختلفة من آياته . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل دلالة أبرار - مثلاً - تختلف عن دلالة بررة في الاستعمال القرآني ؟ وهل لهذه الجموع معانٍ خاصة ما جعلها تستعمل في آية ما دون غيرها ؟ (١).

الجواب هنا أنّ القرآن الكريم معجز ، واستعمال الألفاظ في مواضعها باب من إجازته ، ولا شك أنّ لهذا التنوع في استعمال الجموع دلالاته ومناسبته ومعناه ، وما سيتعرّض إليه البحث من أمور فيه بيان ذلك .

وقد ذُكرت أسباب للاستعمال العربي لهذا التنوع ، فمن تلك الأسباب ، اختلاف اللهجات ، واختلاف المعنى ، والضرورة ، ومناسبة الفواصل ، وكذلك نظرية القلة والكثرة ، وغيرها من الأسباب .

والذي تقتضيه دراسة هذا البحث هو الكشف عن دلالة ذلك الاستعمال المتنوع والمعاني المترتبة عليه ، والوقوف على الأسباب التي دعت إلى ذلك ، ليس على سبيل الإحصاء ، بل على سبيل الانتقاء والتحليل .

الاستعمالات القرآنية :

يستعمل القرآن الكريم جموع التكسير بصور متنوعة ، ومن هذا التنوع استعماله لـ ( الأبرار والبررة ) ، وهما جمعان لـ ( بار ) ، واستعمال القرآن الكريم لهذين الجمعين في مواطن مختلفة له دلالاته الخاصة بالجمع نفسه ، وله دلالاته في الاستعمال ، فمن دلالة الجمع أن ( البار ) إذا أريد به صفة للأدبيين جمع على ( أبار ) ، وإذا أريد به صفة للملائكة جمع على ( بررة ) (٢) . وهذا ما لوحظ في استعمال القرآن الكريم لكلا الجمعين ، فجاء بـ ( البررة ) مرة واحدة في قوله تعالى : " بأيدي سقره كرام بررة " عبس/ ١٦ ، وفي هذا وصف للملائكة (٣) .

أمّا ( الأبرار ) فقد وردت ست مرات في أي الذكر الحكيم وهو وصف للأدبيين ، نحو قوله تعالى : " وتوفنا مع الأبرار " آل عمران / ١٩٣ ، وقوله تعالى : " ... وما عند الله خيرٌ للأبرار " آل عمران/ ١٩٨ ، وقوله تعالى : " إنّ الأبرارَ لفي نعيم ... " الانفطار/ ١٣ ، وقوله تعالى : " إنّ الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا " الدهر/ ٥ ، وقوله تعالى : " كلا إنّ الأبرار لفي عليين " المطففين / ١٨ ، وقوله تعالى : " إنّ الأبرار لفي نعيم : المطففين/ ٢٢ ، وقال أبو جعفر النحاس إشارة إلى ذلك (( إنّ الأبرار لكثرة ما يأتون من الصدق )) (٤) ، ولا شك أنه بهذا المعنى لا يكون صفة للملائكة .

ومن دلالة ( الأبرار ) أيضا أنها استعملت للقلّة النسبية ، فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي : (( أنّ الأبرار في المواطن الستة التي وردت في القرآن جاءت للدلالة على قلّة نسبيّة لا حقيقية ، فالأبرار لا شك يزيدون على العشرة ، لأنّ المقصود بهم المؤمنون ، فهم إذا قيسوا بالفجار كانوا قلّة ، فجاء بالفجار على جمع الكثرة ، والأبرار على جمع القلّة )) (٥) .

ومن دلالة الاستعمال ما وجدناه من الانسجام الصوتي والموسيقي الذي تحدثه كلٌّ من ( الأبرار والبررة ) في موقعيهما ، ومن ذلك قوله تعالى : " ... وتوفنا مع الأبرار " آل عمران/ ١٩٣ انسجاماً مع نهاية الآيتين السابقتين في قوله تعالى : " ... عذاب النار " آل عمران/ ١٩١ ، وقوله " ... ومن أنصار " آل عمران/ ١٩٢ ، كما جاء هذا الانسجام في قوله تعالى : " إنّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفجار لفي جحيم "

الانفطار / ١٣-١٤ ، فلو وازننا بين أصوات الأيتين السابقتين لوجدناها متساوية ومنسجمة النغمة ، مع أن الأبرار جمع قلة والفجار جمع كثرة .

أما البررة ، فجاءت في قوله تعالى : " كرام بررة " عبس/١٦ ، وإن قارىء سورة عبس التي جاءت بها بررة — يلمسُ انسجاماً صوتياً وجانباً موسيقياً ، فضلاً عن الجمل القصيرة التي سبقت الآية السابقة أو لحقتها ، فقد استعمل القرآن صيغة ( فعلة ) جمعا في الآية التي سبقتها في قوله تعالى : " مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة ، قيلَ الإنسان ما أكفره... " عبس/١٦-١٧ ، وتوالت هذه النغمة إلى نهاية السورة ، حتى أنه جاء في آخرها جمعان على وزن ( فعلة ) وهذا في قوله تعالى : " ... أولئك هم الكفرة الفجرة " عبس/ ٤٢ .

وعليه فلو استعمل ( الأبرار ) بدلاً عن ( البررة ) أو العكس ، لفقدَ هذا التوازن والانسجام ، وهو جانب من إعجازه .

ومما خصّه القرآن الكريم من الجموع في مثل هذا التنوع استعمله لـ ( الأسرى والأسارى ) جمع ( أسير ) ، وقد جاءت ( أسرى ) في الذكر الحكيم مرتين في قوله تعالى : " ما كان لِنبيٍّ أن يكونَ لَهُ أسرى حتّى يُثخَنَ في الأرض " الأنفال/٦٧ ، وقوله تعالى : " يا أيُّها النبيُّ قلْ لِمَن في أيديكم من الأسرى " الأنفال/٧٠ ، أما ( الأسارى ) فجاءت مرة واحدة في قوله تعالى : " وإن يأتوكم أسارى ثفادوهم وهو مُحَرَّمٌ عليكم " البقرة/٨٥ . والمتأملُ لاستعمال القرآن الكريم لهذين الجمعين لا يجدُ فرقاً أو اختلافاً في دلالة كلٍّ منهما على الأسر ، حتّى إنهم قرأوا الأسرى أسارى والعكس ، كما ورد أن الأسرى والأسارى لغتان في الأسر(٦) ، ولكن أبا عمرو بن العلاء لاحظ فرقاً لطيفاً في المعنى حيث قال : " الأسرى هم الذين استأسروا أي سلّموا أنفسهم ، وهم غير الموثوقين عندما يؤخذون ، والأسارى هم الذين يكونون في الوثاق والسجن " (٧) .

وتكون الأسارى لغة في الأسر ؛ لأنّ ( فعلى ) يطرّد في كلّ ما دلّ على هلاك أو توجّع أو تشنيت ، وأنه اتصف بهذا المعنى وأصبح دلالة عليه، إلا أنّ ( فعلى ) أخذ هذا المعنى من ( فعلى ) واستحكم عليه(٨) ، فأصبحت دلالة الصيغتين في هذا المعنى .

واستعمل القرآن الكريم أيضا جمعي ( الإخوة والإخوان ) ، وهما جمعان لـ ( أخ ) على وزن ( فَعَلَ ) ، وكان هذا الاستعمال في مواضع كثيرة ، وقد ذكر إنَّ الأخ في الدين يُجمع على ( إخوان ) ، والأخ من الأب والأم ، أي في النسب يجمع على ( إخوة ) (٩) . واستعمل القرآن الكريم ( إخوة ) للدلالة على المعنى المذكور في نحو قوله تعالى : " وجاءَ إخْوَةُ يوسفَ " يوسف/ ٥٨ ، وقوله تعالى : " فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ " النساء/ ١١ ، وقوله تعالى : " لقد كان في يوسف وإخوته " يوسف/ ٧ ، وجاء خلافا لهذا في نحو قوله تعالى : " إنما المؤمنون إخوة " الحجرات/ ١٠ ، ووجد الدكتور السامرائي تخريجا لهذه الآية ، من أنَّ المؤمنين بمنزلة الإخوة في النسب (١٠) ، وقيل إنَّ الإخوة في الآية السابقة إشارة إلى أنَّ ما بينهم هو ما بين الإخوة من النسب ، والإسلام كالأب (١١).

أما استعمال ( الإخوان ) فجاءت تحمل المعنيين ، منها ما هو بمعنى الأصدقاء ، نحو قوله تعالى : " وعادَ وفرعونُ وإخوانُ لوطٍ " ق/١٣ ، وقوله : " إنَّ المُبَدِّرينَ كانوا إخوانَ الشياطين " الإسراء/ ٢٧ ، ومنها ما هو بمعنى النسب ، كقوله تعالى : " ولا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ " النور/ ٣١ ، وكقوله : " ولا جُنَاحَ عليهنَّ في آبائِهِنَّ ولا إِخْوَانِهِنَّ ولا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ " الأحزاب/ ٥٥ ، وذكر إنَّ السبب في مجيء الإخوان في القرآن بمعنى النسب هو أنَّ الخطاب فيه لعموم المؤمنين وليس لواحد منهم فاقتضى المقام الكثرة ، فجاء بصيغة إخوان الدالة على الكثرة بدل إخوة التي هي للقلَّة (١٢) .

ويُضح لنا مما سبق اختلاف دلالة كل من الإخوة والإخوان في الاستعمال القرآني ، ولأبي حيَّان النحوي رأيٌ آخر إذ يقول : " والصحيح أنَّهما يقالان في النسب وفي الدين " (١٣) . والحقيقة أنَّ هذا الاختلاف اللطيف في المعنى لا يُعتمدُ في الاستعمال اللغوي .

وعلى النحو السابق جاء استعمال القرآن الكريم لـ ( عباد وعبيد ) جمع ( عبْد ) في مواضع كثيرة ، وقد بيَّن اللغويون والدارسون - قدامى ومحدثين - دلالة كلِّ من الجمعين ، فجاء في البحر المحيط أنَّ ابن عطية قال : " إنَّ العباد تأتي جمعاً لـ(عبْد) متى ما سبقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن

بها معنى التحقير وتصغير الشأن ... أما العبيد فيستعمل في التحقير " (١٤) ، وأشار ابن جني إلى " أن أكثر اللغة تستعمل العبيد للناس والعباد لله " (١٥) .

وقد وردت لفظة ( العباد ) في القرآن الكريم سبعا وتسعين مرة ، و ( العبيد ) خمس مرات ، فالعباد في كل هذه المواضع تعني الطائعين لله عز وجل ، المخلصين له ، ومن ذلك قوله تعالى : " والله رؤوفٌ بالعباد " البقرة/٢٠٧ ، وقوله تعالى : " والله بصيرٌ بالعباد " آل عمران / ١٥ ، وقوله تعالى : " قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم " الزمر/ ١٠ ، أما العبيد فحيثما وردت دلت على أنهم عصابة لله جل جلاله ، يستحقون عذابه ونقمته ، وجدير بالذكر أن ثلاث آيات منها مسبوقة بقوله تعالى : " ذوقوا عذاب الحريق " (١٦) . ومن ذلك قوله تعالى : " ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد " آل عمران/ ١٨٢ ، وقوله تعالى : " ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " الحج/١٠ .

وجعل أبو حيان مدلول ( عباد ) مشابهاً لمدلول ( عبيد ) وعلل ذلك بقوله : " إن عباد وعبيد سواء وإنما كثر استعمال عباد دون عبيد ؛ لأن ( فعلا ) في جمع ( فعل ) غير اليائني العين قياسي مطرد ، وجمع ( فعل ) على ( فعيل ) لا يُطرد ... " (١٧)

كما علل أبو حيان مجيء عبيد في القرآن الكريم بقوله : " وجاء ( عبيد ) في القرآن لتواخي الفواصل ، ألا ترى في قوله تعالى : " وما ربك بظلام للعبيد " فصلت/٤٦ ، وجاء قبلها قوله تعالى : " أولئك يُنادون من مكان بعيد " فصلت/٤٤ ، وجاء بعدها قوله تعالى : " قالوا أدناك ما منا من شهيد " فصلت/٤٧ ، فحسُن مجيئه بلفظ العبيد مواخاة هاتين الفاصلتين ، ونظير ذلك قوله تعالى : " وما أنا بظلام للعبيد " ق/٢٩ ، فقد جاء قبلها قوله تعالى : " لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد " ق/٢٨ ، وجاء بعدها قوله تعالى : " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد " ق/٣٠ " (١٨) .

ولعل كلام أبي حيان في مواخاة الفواصل فيه كثير من الصواب ؛ لأن لفظة ( عبيد ) في سورة (ق) وسورة فصلت وسورة الحج ، سُبقت وتليت بفواصل على زنة ( عبيد ) ، حتى أن سورة (ق) بدأت بقوله تعالى : " ق والقرآن المجيد " ق/١ .

ومما سبق يمكن القول إن دلالة ( عباد ) في الاستعمال القرآني اختلفت عن دلالة ( عبيد ) ، وإن كان الاستعمال اللغوي والتعبيري لـ ( عباد ) لا يقتصر على المعنى المذكور ، وربما هو مصطلح قرآني اعتمد هذا المعنى .

ومن تنوع الجموع أيضا في الاستعمال القرآني مجيء ( الحمير والحُمُر ) جمعا لحمار ، ولا شك أن لمجيئها معان ودلالات خاصة ، فجاءت لفظة ( الحمير ) في القرآن الكريم مرتين في نحو قوله تعالى : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة " النحل/٨ ، وقوله تعالى : " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " لقمان/١٩ .

أما ( الحُمُر ) فجاءت مرّة واحدة في قوله تعالى : " كأنهم حُمُر مستنفرة فرّت من قسورة " المدثر/٥٠-٥١ ، فمن دلالة لفظة ( الحمير ) في القرآن الكريم أنها أهلية مألوفة ، ودلالة لفظة ( الحُمُر ) أنها وحشيّة (١٩) . وجاء في صحيح البخاري أنّه شبّههم بالوحوش لمناسبة الجهل وعدم الفطنة بل هم أضلّ (٢٠) .

وئضيف أيضا أن لفظة ( الحمير ) في قوله تعالى : " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " جاءت لتواخي فواصل السورة ، وانسجامها الصوتي والموسيقي ؛ لأنّ لفظة ( الحمير ) سُبقت وُلحقت بواصل من زنتها ، نحو : خيبر ، فخور ، أمور ، مصير ، سعير ، صدور ، كبير ، ...

واستعمل القرآن الكريم ( الكُفَّار والكُفْرَة ) جمع كافر ، وقد اختلفت دلالة الجمعين باختلاف صيغتيهما ، فقبل إنّ الكُفَّار في جمع كافر وهو غير المؤمن ، أو المُضاد للإيمان أكثر استعمالا من الكُفْرَة ، والكُفْرَة في جمع كافر الجاحد النعمة أكثر استعمالا (٢١) .

وجاءت لفظة ( الكُفَّار ) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرّة (٢٢) ، وقد احتملت هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : " إنّ الذين كفّروا وصدّوا عن سبيل الله وماتوا وهم كُفَّارٌ فلن يعفّر الله لهم " محمد/٣٤ ، وكذلك قوله تعالى : " يا أيّها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضبَ الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكُفَّارُ من أصحاب القبور " الممتحنة/١٣ ، وقوله تعالى : " فاليوم الذين آمنوا من الكُفَّار يضحكون " المطففين/٣٤ . وجاءت لفظة ( الكُفْرَة ) مرّة واحدة في القرآن الكريم ، وهي تحمل المعنى المذكور ، في قوله تعالى : " هم الكُفْرَةُ الفَجْرَةُ " عبس/٤٢ .

وعلق الدكتور السامرائي على هذا بقوله " إن دلالة ( فَعَال ) هي التكثر والمبالغة في القيام بالفعل ، فإن لم يكثرُوا من القيام بالفعل فلا يطلق عليهم هذا الجمع ، فليس كل مَنْ يزرع شجرةً - مثلاً - هو من الزُرَّاع حتى يكثر من ذلك ... ، فهو لتكثر القيام بالفعل لا لتكثر العدد ... ، أمّا ( فعلة ) فليس فيه الحركة والتكثر اللذين في ( فتعال ) " (٢٣) .

ويُضيف قائلاً : " ومما يدلُّ على غياب الحدث والحركة من هذا الجمع ، أن هذا الجمع ورد في مواطن كثيرة في القرآن الكريم ليس فيها اسم واحد متعلقاً بمجرور أو ظرف أو عاملاً أيَّ عمل " (٢٤) .

والذي يطالعنا - هنا - في استخدام القرآن الكريم للفظة ( الكفرة ) في سورة عبس أنها جاءت منسجمة مع نسق السورة في فواصلها ، فقال تعالى : " وجُوء يومئذٍ مسفرةً ، ضاحكةً مستبشرةً ، ووجوءٌ يومئذٍ عليها غبرةً ، ترهقها فترةً ، أولئك هم الكفرة الفجرة " عبس/٣٨-٤٢ ، فضلاً عن ذلك فإن هذا التشابه في الفواصل قد لزم السورة منذ بدئها ، ولو أنه استعمل الكفار بدلاً عن الكفرة لاختلف هذا التواصل النغمي المعجز .

ومن ذلك أيضاً استعمال القرآن الكريم ( السُجْد والسُجُود ) جمع ساجد ، وجاء استعمال القرآن لـ( السُجْد ) في إحدى عشرة مرةً ، منها قوله تعالى : " ورفع أبويه على العرش وخروا له سُجداً " يوسف/١٠٠ ، وقوله تعالى " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجداً وبُكياً " مريم/٥٨ ، وقوله تعالى : " تراهم رُكعاً سُجداً " الفتح/٢٩ .

أمّا ( السجود ) فقد جاءت مرتين في قوله تعالى : " وعهنا إلى إبراهيم وإسماعيلَ أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السُجود " البقرة / ١٢٥ ، وكذلك قوله تعالى : " وطهّر بيتي للطائفين والقاتمين والركع السُجود " الحج / ٢٦ .

والجدير بالذكر إن صيغة ( فَعَل ) تدلُّ على الحركة الظاهرة ، كما أن فيها الدلالة على تكثر القيام بالفعل (٢٥) .

وقد أوضح السهيلي الفرق بين ( السُجْد والسُجُود ) في الاستعمال القرآني بقوله : " فلم قال السجود على وزن ( فَعُول ) ، ولم يقل ( السُجْد ) كما قال ( الرُكع ) ، مع أنه قال في سورة الفتح ( رُكعاً سُجداً ) ؟ وما الحكمة في جمع ساجد على سجود ،

ولم يجمع راعع على ركوع؟ فالجواب: انّ السجود عبارة عن الفعل، وهو في معنى الخشوع والخضوع، وهو يتناول السجود الظاهر والباطن، ولو قال: السُّجْد جمع ساجد لم يتناول إلا المعنى الظاهر، وكذلك الرُّكْع، ألا تراه يقول: (تراهم رُكْعاً سُجِّداً) يعني رؤية العين، وهي لا تتعلّق بالظاهر" (٢٦).

ومن الملاحظ أنّ السجّد حيثما ورد فإثمه يدلُّ على الحركة الظاهرة، أمّا السجود فيدلُّ على السجود الحقيقي وهو الخشوع، وهو مناسب للتطهير في الآيتين، فإنّ الخشوع يدلُّ على طهارة الباطن، وهو مناسب لطهارة البيت (٢٧).

ومن استعمال القرآن الكريم لأوزان جموع التكسير للمغايرة بين معنيين، استعماله لـ (الأعْيُن والعِيُون) جمع (عَيْن) ، فقد جاءت العيون في القرآن عشر مرّات (٢٨)، وكلها تعني عِيُون الماء، ومن ذلك قوله تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونَ" الحجر/٤٥، وقوله: "كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونَ" الدُّخَان/٢٥، وقوله: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِيُونَ" المرسلات/٤١، أمّا الأعين فحيثما وردت كانت تعني الباصرة، ومنها قوله تعالى: "أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا" الأعراف/١٩٥، وقوله: "تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ" المائدة/٨٣، وقوله: "وَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ" الأحزاب/٥١.

الملاحظ هنا أنّ الأعين متى ما أضيفت إلى (نا) المتكلم، وهو ذات الله جلّ ثناؤه، كانت تعني الرعاية، أي رعاية الله للبشر (٢٩)، ومن ذلك قوله تعالى: "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا" هود/٣٧، وقوله: "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا" المؤمنون/٢٧، وقوله: "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" الطور/٤٨، وكذلك قوله: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا" القمر/١٤.

والملاحظ أيضاً أنّ لفظة العِيُون هو مصطلح قرآني اختصّ بعيون الماء دون الباصرة، أمّا الاستعمال اللغوي أو المعجمي فشمل المعنيين.

ومن اختلاف المعنى في الاستعمال القرآني بين جمعين، هو استعمال (الأشْيَاعِ وَالشَّيْعِ) جمع شَيْعَة، فجاءت أشْيَاع في موضعين، الأول في قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ" القمر/٥١، والثاني في قوله تعالى: "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِكُمْ مِنْ قَبْلِ" سبأ/٥٤، ومعنى الأشْيَاع في كلا



الموضعين : الأشباه في الكفر (٣٠). أما الشيع فجاغت في خمسة مواضع، وكانت تعني : الفرق ( ٣١ )، نحو قوله تعالى : " ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين " الحجر/ ١٠ ، وقوله : " إن فرعونَ علا في الأرض وجعلَ أهلها شيعا " القصص/ ٤ ، وقوله : " من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا " الروم/ ٣٢ ، وقوله : " أو يُلبسكم شيعا " الأنعام/ ٦٥ ، وقوله : " إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا " الأنعام/ ١٥٩ .

والحقيقة أنّ ( أشياعاً ) جمع قلة ، ولكنّه استعمل للدلالة على القلة النسبية ، إذا ما قورن بالشيع وهو جمع كثرة .

وعلى النحو السابق جاء استعمال القرآن الكريم لـ ( الموتى والأموات ) جمع ( ميت ) ، فكل جمع معنى مختلف قد خصّه القرآن به ، فقيل إنّ ( الموتى ) حيثما وردت في القرآن ، إنّما تدلّ على من أصابهم الموت حقاً، نحو قوله تعالى : " وإذ قال إبراهيمُ ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى " البقرة / ٢٦٠ ، وقوله : " ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى " الأنعام/ ١١١ . أمّا ( الأموات ) فدلت على من ماتوا حقيقة وعلى غيرهم ، أي الموت المعنوي (٣٢) ، نحو قوله تعالى : " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم " البقرة/ ٢٨ ، وقوله تعالى : " وما يستوي الأحياء ولا الأموات " فاطر/ ٢٢ ، وقوله : " والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ، أمواتٌ غيرُ أحياء وما يشعرون أيّان يُبعثون " النحل/ ٢٠-٢١ ، وقوله : " ولا تقولوا لمن يُقتلُ في سبيلِ الله أموات بل هم أحياءٌ ولكن لا تشعرون " البقرة/ ١٥٤ .

ومن الجوانب المادية والمعنوية في الاستعمال القرآني، استعماله لـ(الضعفاء والضعاف ) جمع ( ضعيف ) ، فالضعفاء هم المستضعفون في الأتباع والعوام ، وهو من الضعف المعنوي ، أمّا الضعاف فالضعف المادي (٣٣) ، ومن ذلك قوله تعالى : " فقال الضعفاءُ للذين استكبروا إنا كُنّا لكم تبعاً " إبراهيم/ ٢١ ، وجاءت الضعفاء للدلالة على الضعف المادي في موضع واحد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنْفِقون حَرَجٌ إذا نَصَحوا الله ورسوله " التوبة/ ٩١ ، فالضعفاء في هذه الآية هم الشيوخ (٣٤).

أمّا قوله تعالى : " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ... " النساء/ ٩ ، وقوله تعالى : " أيودُّ أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجري من

تحتها الأنهارُ له فيها من كلِّ الثمراتِ وأصابهُ الكيْرُ وله ذرِيَّةٌ ضُعفاءُ ، فأصابها إحصارٌ فيه نارٌ فاحترقتُ ... " البقرة / ٢٦٦ ، فقد علّق الدكتور السامرائي عنهما بقوله : " إنَّ قوله ضعيفا تعني الضعف المادّي ، أي محتاجين إلى المال فقراء ، أمّا الثانية فليس المقصود بها الضعف المادّي بل الضعف المعنوي ، أي عدم القيام بالأمر ، بدليل أنّ أباهم له جنّة فيها من كلِّ الثمرات، وإنّما هم ضُعفاء إلى من يقوم بأمرهم ، فتمّة فرق بين الحالتين " (٣٥)

ومن ذلك أيضاً استعماله لـ ( الأنفس والنفوس ) ، فقد جاءت ( النفوس ) في القرآن الكريم مرتين ، في قوله تعالى : " إذا النفوسُ زُوّجتُ " التكوير/٧ ، وفي قوله تعالى : " ربّكم أعلمُ بما في نفوسِكُم " الإسراء/٢٥ ، أمّا ( الأنفس ) فجاءت في مئة وثلاث وخمسين مرّة (٣٦)، منها قوله تعالى : " ولنبلوكم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ ... " البقرة / ١٥٥ .

وإذا ما تأملنا كلمة ( النفوس ) في الآيتين السابقتين ، نجدها تختصُّ بجانبٍ معنويّ خالٍ من الماديّة ، وكأنّك تتعامل مع الروح خالية من الجسد ، أمّا ( الأنفس ) فقد ارتبطت بالجانب المادّي ، أي أننا نتعامل مع إنسان متكوّن من روح وجسد مرتبطين بحدثٍ دنيوي .

ومن ذلك أيضاً استعمال القرآن الكريم لـ ( الأشدّاء والشّدّاد ) جمع شديد ، وقد جاءت (الأشدّاء ) في القرآن الكريم للدلالة على الشدّة المعنوية ، و( الشّدّاد ) للشدّة المادية (٣٧) ، ومنه قوله تعالى : " ... أشدّاء على الكُفّارِ رُحَماءَ بينهم " الفتح/٢٩ . فقوبل هنا بين الشدّة والرحمة ، وهما أمران معنويان ، ونحو قوله تعالى : " ... ملائكةٌ غلاظٌ شدّاد " التحريم/٦ ، أي أنّهم ملائكة ضخام الأجسام فيهم شدّة وغلظة (٣٨) ، وقوله تعالى : " ثمّ يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدّاد يأكلنّ ما قدّمتم لهنّ " يوسف/٤٨ ، والشّدّاد هنا: السنين المجديبة الفاحطة ، وكذلك قوله تعالى : " وبنينا فوقكم سبعاً شدّادا " النبأ/١٢ ، أي السماوات المحكمة القويّة (٣٩) .

وكذا استعمل القرآن الكريم لـ( الدُّكُور والدُّكران ) جمع ( ذكر ) ، الاستعمال نفسه ، فجاءت ( الذكور ) في قوله تعالى " يَهَبُ لمن يشاءُ إناءًا ويَهَبُ لمن يشاءُ الذكور " الشورى/٤٩ ، وقوله : " وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا

وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا " الأنعام/ ١٣٩ ، وجاءت ( الذُكران ) في قوله تعالى : " أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ " الشعراء/ ١٦٥ ، وقوله تعالى : " أَوْ يُزَوِّجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا " الشورى/ ٥٠ .

ولعلنا نجد تخصيصاً في استعمال القرآن للذُكران ، أمّا الذكور فالعموم واضحٌ فيها ، وقد أريدَ بالذُكران الدلالة على القلّة النسبيّة مقارنة بالذكور (٤٠) . وورد أنّ معنى قوله تعالى : " وَيُزَوِّجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا " ، هو أنّ يكون للمرأة مرّة ذكراً ومرّة أنثى (٤١) ، وورد في تفسير القرطبي أنّ مجاهد قال : " هو أنّ تلد المرأة غلاماً ثمّ تلد جارية ثمّ تلد غلاماً ثمّ تلد جارية . وقال محمد بن الحنفية : هو أنّ تلد ثؤماً ، غلاماً وجارية . وقال القتيبي : التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات ؛ تقول العرب : زَوَّجْتُ إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار " (42) ، فإنّ المرأة إذا ولدت ذكراً ف قط كان عدد الذكور أكثر في العادة من أنّ تلد ذكراً وإناثاً (٤٣) .

ومن ذلك أيضاً استعمال القرآن الكريم لـ ( العُمي والعُميان ) ، وقيل إنّ العميان استعملت للدلالة على القلّة النسبية ، واستعملت العُمي للكثرة (٤٤) ، كما في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا " الفرقان / ٧٣ .

الوصف في الآية السابقة بكلمة ( العُميان ) جاء في عباد الرحمن ، أمّا الوصف بكلمة ( العُمي ) في قوله تعالى : " صُمٌّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ " البقرة / ١٨ ، وقوله تعالى : " أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " الزخرف/ ٤٠ ، وكذلك قوله : " وَنُحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا " الإسراء/ ٩٧ — فجاء وصفاً للكافرين ، والقلّة النسبيّة في هذا هو أنّ عباد الرحمن أقلُّ من الكافرين .

وأشار السامرائي هنا إلى أنّ " العمي جمع أعمى ، ولكن العُميان اسم لهؤلاء الصنف من الناس الفاقدي البصر ، فتقول : أقبل العميان ، كما تقول : أقبل القضاة والباعة والصاغة " (٤٥) .

ولربّما يكون معنى العُمي في الاستعمال القرآني هو عمى البصيرة ، وليست الباصرة ، فجاءت العُمي في مواطن سبعة (٤٦) في القرآن الكريم وكلّها موجهة لأهل

الكفر ، فهم يسمعون ويُبصرون بحواسهم ويجحدون بقلوبهم ، أمّا العُميان ، فربّما تعني الباصرة ، إذ إنّها جاءت في موطن واحد ذكرناه آنفاً ، وجاء في وصف عباد الرحمن ، فهم خردوا على آيات الله سامعين مبصرين منتفعين<sup>(٤٧)</sup>، إذ لولا تكبيرهم عن طريق الحواس لما خردوا عليها منتفعين .  
ونخلص مما سبق إلى :-

١- أنّ اختلاف المعنى هو السبب الأساسي في استعمال القرآن الكريم لجمع دون آخر ، فاستعمال القرآن لهذا التنوع لم يكن على سبيل الترادف ، ولكن لاختلاف في المعنى ، فلكل كلمة معناها الدقيق ، ولا يمكن لكلمة أن تحلّ محلّ الأخرى ، وإن كانت تحمل معناها العام .

٢- قد يحكم الانسجام الصوتي والنسق الموسيقي والتواصل النغمي وفواصل الآيات استعمال القرآن الكريم لهذا التنوع .  
٣- تلعب نظرية القلّة والكثرة الافتراضية دوراً ملحوظاً في الاستعمال القرآني السابق .

### هوامش البحث

- (١) انظر دراسات في علم اللغة ، د . كمل بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م ، ص/١٠٥ .
- (٢) الإلتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ج٢ ، ص/٣٠٢ .
- (٣) الكشّاف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ( د.ت ) ، ج٤ ، ص/٧٠٢ .
- (٤) إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨م - ١٩٨٠م ، ج٣ ، ص/٦٥٦ .
- (٥) معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١م ، ص/١٤٢ - ١٤٣ .
- (٦) حُجّة القراءات ، أبو زرعة ، تحقيق: د. سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص/١٠٤ .

- (٧) المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، تحقيق : محمد جاد المولى بك وعلي محمد الجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٨٦ ، ج٢ ، ص / ٢٠٠ . وينظر الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ، تحقيق : مصطفى الشومى ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص / ٣٠ .
- (٨) انظر معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائى ، ص / ١٩ .
- (٩) البحر المحيط ، أبو حيان النحوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج٣ ، ص / ١٩ .
- (١٠) معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٣٧ .
- (١١) التفسير الكبير المسمى ( مفاتيح الغيب ) ، محمد بن عمر الرازي ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٩هـ ، ج٧ ، ص / ٥٩٨ .
- (١٢) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٣٧ .
- (١٣) البحر المحيط ، ج٣ ، ص / ١٩ .
- (١٤) البحر المحيط ، ج٢ ، ص / ١٤ .
- (١٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ص / ١٤ .
- (١٦) انظر التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، د. عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص / ٤٤ .
- (١٧) البحر المحيط ، ج٢ ، ص / ٥٠٦ .
- (١٨) البحر المحيط ، ج٢ ، ص / ٥٠٦ .
- (١٩) الكشاف ، ج٤ ، ص / ٦٥٦ .
- (٢٠) صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ( د . ت ) ، ج١ ، ص / ١٢ .
- (٢١) دقائق العربية ، أمين آل ناصر الدين ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص / ٣٤ .
- (٢٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ( كفر ) .
- (٢٣) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٤٥-١٥١ .

- (٢٤) المصدر نفسه ، صم ١٥١ .
- (٢٥) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٥٢ - ١٥٩ .
- (٢٦) نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم السهيلي ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، منشورات جامعة قار بونس ، ١٩٧٨ ، ص / ٢٧٤ ، ويُنظر بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ( د . ت ) ، ج ١ ، ص / ٦٥ - ٦٦ .
- وجاء في البرهان للزركشي قوله : " إنَّ السجود يُطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال السُّجّد لم يتناول إلا المعنى الظاهر ، ومنه قوله تعالى : " تراهم رُكعاً سُجّداً " وهو من رؤية العين ، ورؤية العين بالظاهر فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري بخلاف الركوع ، فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام والتقدم دون أعمال القلب " ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨ ، ج ٣ ، ص / ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٢٧) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٥٣ - ١٥٤ .
- (٢٨) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ( عين ) .
- (٢٩) انظر من بديع لغة القرآن ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان ، عمّان ، ١٩٨٤ ، ص / ٢٢٩ .
- (٣٠) الكشّاف ، ج ٣ ، ص / ٥٤٤ ، وج ٤ ، ص / ٤٤١ .
- (٣١) الكشّاف ، ج ٢ ، ص / ٥٧٢ ، ج ٣ ، ص / ٣٩١ .
- (٣٢) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٣٢ .
- (٣٣) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٣٤) انظر الكشّاف ، ج ٢ ، ص / ٣٠١ .
- (٣٥) معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٦٨ .
- (٣٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ( نفس ) .
- (٣٧) انظر معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٦٩ .
- (٣٨) انظر الكشّاف ، ج ٣ ، ص / ٥٦٨ .

- (٣٩) معاني الأبنية في العربية ، ص/ ١٦٩ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ص / ١٥٨ - ١٥٩ .
- (٤١) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، صححه وعلق عليه : أحمد شوقي الأمين واحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٣ ، ج٩ ، ص/ ١٧٤ .
- (٤٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩ ، ج١٦ ، ص/ ٤٣-٤٤ . وينظر جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، دار الكتب العلمية ، ج١١ ، ص/ ١٦٥ .
- (٤٣) انظر معاني البنية في العربية ، ص/ ١٥٩ .
- (٤٤) المصدر نفسه ، ص/ ١٥٨ .
- (٤٥) معاني الأبنية في العربية ، ص / ١٥٨ .
- (٤٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ( عمى ) .
- (٤٧) انظر الكشاف ، ج٣ ، ص / ٢٩٥ .

### قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٣- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨-١٩٨٠ .
- ٤- البحر المحيط ، أبو حيان النحوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٥- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٦- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨ .
- ٧- التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، صححه وعلق عليه : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٣ .

- ٨- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، د. عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، عمّان ، ١٩٨٥ .
- ٩- جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، دار الكتب العلمية ،
- ١٠- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩ .
- ١١- حجة القراءات ، أبو زرعة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ١٢- دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ .
- ١٣- دقائق العربية ، أمين آل ناصر الدين ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ١٤- الصاحب في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها ، ابن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ١٥- صحيح البخاري ، البخاري ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ( د . ت ) .
- ١٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ( د . ت ) .
- ١٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ( د . ت ) .
- ١٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، تحقيق : محمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ١٩- معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١ .
- ٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
- ٢١- مفاتيح الغيب ( التفسير الكبير ) ، محمد بن عمر الرازي ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٩هـ .
- ٢٢- من بديع لغة القرآن ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان ، عمّان ، ١٩٨٤ .
- ٢٣- نتائج الفكر في النحو ، ابو القاس السهيلي ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا ، منشورات جامعة قار يونس ، ١٩٧٨ .